ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

فلسطين في وجدان الإمام الشهيد... حكاية قائد جعل القدس بوصلته حتى الرمق الأخير

محمد الأيوبي

شكّلت القضية الفلسطينية محورًا ثابتًا في فكر وممارسة الإمام الشهيد السيد علي الخامنئي، قائد الثورة الإسلامية في إيران، الذي استشهد في ٢٨ شباط/ فبراير ٢٠٢٦. لم تكن فلسطين عنده فقط قضية سياسية هامشية أو ملفًا من ملفات السياسة الخارجية، بل كانت بوصلة الأمّة وقضيتها المركزيّة، ومفتاحًا استراتيجيًا لفهم الصراع الحضاري بين مشروع المقاومة ومشروع الهيمنة العالمي. إن المتتبع لخطب الإمام الخامنئي وتصريحاته ومواقفه العملية يجد أن فلسطين تحتل موقعًا متميزًا لا يكاد يضاهيه أي موضوع آخر في أولوياته الفكرية والسياسية.

إن ما يميز رؤية الإمام الخامنئي للقضية الفلسطينية هو شموليتها ووضوحها وثباتها. فهي رؤية لا تعرف التردد أو التلون، ولا تخضع للمتغيرات السياسية أو الضغوط الدولية. إنها رؤية تستند إلى مبادئ ثابتة، وتقدم حلولًا عملية، وترفض كل أشكال التسوية والتفريط بالحقوق الفلسطينية.

الأسس الفكرية لرؤية الإمام الخامنئي تجاه فلسطين

استند الإمام الخامنئي في تحليله للقضية الفلسطينية إلى المبدأ القرآني القاضي بوجوب مقاومة الظلم والطغيان، وعدم الرضوخ للمحتل الغاصب. ففي قوله تعالى: [وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ]، وجد الأساس المتين الذي تقوم عليه فكرة امتلاك القوة لردع العدو، وليس للعدوان. فامتلاك القوة، في رؤيته، هو السبيل الوحيد لإرهاب العدو ومنعه من التمادي في ظلمه وعدوانه.

وأضاف إلى هذا المبدأ القرآني بعدًا آخر مستمدًا من قوله تعالى: [وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ]، ليشير إلى أن العدو الصهيوني لن يرضى عن المسلمين ما لم يتنازلوا عن دينهم وهويتهم ومقدساتهم وأرضهم. وهذا يعني أن منطق المساومة والتنازل لن يجدي نفعًا مع عدو هذا طبعه وهذه طبيعته.

نظرية المقاومة كخيار استراتيجي ورفض التسوية

بلور الإمام الخامنئي نظرية متكاملة للمقاومة، جاعلًا منها الخيار الاستراتيجي الوحيد، وهي نظرية لا تقتصر على الجانب العسكري، بل تمتد إلى الأبعاد السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية. فالمقاومة في فكره ليست رد فعل عابرًا، بل مشروع حضاري يستند إلى إرادة الشعوب، ويعيد للأمة كرامتها وهويتها. وكان يرى أن السابع من أكتوبر (طوفان الأقصى) شكّل زلزالًا غير قابل للترميم داخل الكيان الصهيوني، وأنه ثمرة طبيعية لسنوات من الظلم، ما يضع الصراع في إطار «الحق في مواجهة الباطل»، ويمنح المقاومة شرعيتها الأخلاقية والإنسانية والدينية.

وفي مقابل ذلك، كان رفضه للتسوية قاطعًا وصارمًا. اعتبر ما يسمى بـ«عملية السلام» خديعة كبرى تستهدف تصفية القضية، وأكد أن المفاوضات التي جرت على مدى عقود لم تؤد إلا إلى مزيد من التنازلات وشرعنة الاحتلال. وهو يرفض منطق «الأمر الواقع»، مؤكدًا أن مرور الزمن لا يضفي شرعية على الغصب، وأن التنازل عن أي شبر من فلسطين هو خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين، واعتداء على حقوق الأجيال القادمة، لأن فلسطين في رؤيته وقف إسلامي لا يجوز التفريط به أو المساومة عليه.

وحدة الأمة الإسلامية كشرط للتحرير

يربط الإمام الخامنئي بين تحرير فلسطين ووحدة الأمة الإسلامية. ففي رؤيته، إن تفرق المسلمين وتمزقهم هو السبب الرئيسي الذي سمح بقيام الكيان الصهيوني واستمراره. ولذلك، فإن استعادة الوحدة الإسلامية هي الشرط الأساسي لتحرير فلسطين والمقدسات، حيث دَعا في هذا السياق إلى تجاوز الخلافات المذهبية والطائفية والقومية بين المسلمين، وإلى التركيز على القواسم المشتركة التي تجمعهم، وفي مقدمتها الإيمان بالله ورسوله، والولاء للقرآن الكريم، والتمسك بقضية فلسطين. وهو يحذر من المشاريع التقسيمية التي تستهدف تمزيق الأمة وإضعافها، ومن محاولات شغل المسلمين بقضايا هامشية عن قضيتهم المركزية.

الممارسة العملية في مناصرة القضية الفلسطينية

لم يكتف الإمام الخامنئي بالتنظير والتأطير الفكري للقضية الفلسطينية، بل ترجم رؤيته إلى ممارسة عملية تمثلت في دعم المقاومة الفلسطينية بكل أشكالها. وهذا الدعم لم يكن سريًا أو ملتبسًا، بل كان معلنًا وواضحًا، على الرغم من كل الضغوط والتهديدات التي تعرضت لها إيران بسبب هذا الموقف.

فإيران، بقيادة الإمام الخامنئي، كانت ولا تزال الداعم الأكبر للمقاومة الفلسطينية، ماديًا ومعنويًا وسياسيًا وعسكريًا. وهذا الدعم لم يكن موجهًا لفصيل دون آخر، بل كان لكل الفصائل المقاومة التي تتبنى خيار الجهاد والمقاومة ضد الاحتلال. وقد أثمر هذا الدعم عن تطوير قدرات المقاومة الفلسطينية، حتى أصبحت قادرة على ردع الكيان الصهيوني وإلحاق الهزائم به في معارك متعددة.

كما ترجم رؤيته إلى أدوات حراكية مؤثرة. تبنّى إعلان الإمام الخميني (آخر جمعة من رمضان) يومًا عالميًا للقدس، وعمل على تعزيزه وتطويره حتى أصبح حدثًا عالميًا تشارك فيه ملايين المسلمين وأحرار العالم في مختلف القارات. رأى في هذا اليوم أداة سنوية لتجديد العهد مع فلسطين، وإيصال صوت المظلومين إلى العالم، وكسر العزلة المفروضة على القضية.

وقاد الإمام حملة شرسة ضد التطبيع مع الكيان الصهيوني، معتبرًا إياه خيانة وطعنة في ظهر الشعب الفلسطيني، ولا يقل خطورة عن الاحتلال نفسه لأنه يمنح الكيان شرعية ويسهل مخططاته التوسعية. وحذّر من الاختراق الصهيوني للمجتمعات الإسلامية عبر التغلغل الثقافي والإعلامي، ودعا إلى اليقظة. وقد أثمرت مواقفه الحازمة في إفشال العديد من محاولات التطبيع، وشكّلت حافزًا للشعوب الإسلامية للضغط على حكوماتها لوقف أي خطوات في هذا الاتجاه.

توظيف القدرات الإيرانية لخدمة القضية

تحت قيادة الإمام الخامنئي، تم توظيف القدرات الإيرانية المتنوعة لخدمة فلسطين. فعلى الصعيد السياسي، أصبحت إيران المدافع الأقوى عن الحقوق الفلسطينية في المحافل الدولية والمتصدي الأبرز للمخططات الصهيونية والأمريكية. وعلى الصعيد الإعلامي، دُعمت قنوات متعددة اللغات لنقل معاناة الشعب الفلسطيني وكشف جرائم الاحتلال. وفي المجال الثقافي، دُعمت البحوث والمؤتمرات العالمية لنصرة فلسطين، بينما قُدمت مساعدات إنسانية كبيرة للشعب الفلسطيني، خاصة في غزة المحاصرة. هذا التوظيف المتكامل جعل دعم فلسطين مشروع دولة لا مجرد موقف هامشي.

الثبات على الموقف حتى الرمق الأخير

أكد الإمام أن الثبات على الموقف الحق هو مبدأ إسلامي أصيل مستمد من القرآن: [فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ]. والثبات في رؤيته لا يعني الجمود، بل الاستمرار في نصرة الحق مع تطوير الوسائل. وهو يعتبر أن الثبات على نصرة فلسطين هو اختبار حقيقي للإيمان، فمن يدعي حب الله ثم يتخلى عن نصرة إخوانه في فلسطين، فدعواه كاذبة.

واجه الإمام على مدى عقود ضغوطًا هائلة بسبب هذا الموقف: عقوبات اقتصادية، تهديدات عسكرية، حملات إعلامية ومحاولات عزل. لكنه صمد، معبرًا عن فلسفته بعبارة خالدة: «لن نتخلى عن فلسطين حتى لو هددنا العالم كله». وكان يرى أن هذه الضغوط هي ثمن طبيعي لموقف الحق، ودليل على صحة الموقف، فالعدو لا يضغط إلا على من يشكل خطرًا على مخططاته.

واستمد ثباته من إيمانه الراسخ بوعد الله بالنصر، مستشهدًا بقوله: [وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ]، مؤكدًا أن زوال «إسرائيل» ليس مجرد أمنية، بل حقيقة قرآنية وتاريخية تدل عليها سنن الله. وفي هذا السياق، كان يحذر من اليأس ويدعو للتفاؤل والعمل، متمسكًا بالهدف النهائي: تحرير كل شبر من فلسطين، من النهر إلى البحر. لقد رفض الإمام كل الحلول الجزئية كـ«صفقة القرن» أو «حل الدولتين»، معتبرًا أنها تهدف لتصفية القضية وتثبيت الاحتلال، ودعا إلى التمسك بالهدف الكامل وعدم الالتفات للمشاريع المشبوهة.

البعد الاستراتيجي في الرؤية الخامنئية لفلسطين

كان الإمام الخامنئي يرى أن القضية الفلسطينية ليست فقط قضية إقليمية أو قومية، بل هي قضية الأمة الإسلامية المركزية. وهي في رؤيته تمثل جوهر الصراع بين الإسلام والاستكبار العالمي، وبين الحق والباطل، وبين المستضعفين والمستكبرين.

وهو يحلل القضية الفلسطينية في إطار نظرية شاملة للصراع العالمي، حيث يرى أن الكيان الصهيوني هو رأس حربة للاستكبار العالمي في المنطقة الإسلامية، وأن دعم هذا الكيان هو جزء من استراتيجية الهيمنة على العالم الإسلامي وثرواته ومقدساته.

وانطلاقًا من هذه الرؤية، كان يدعو الإمام الخامنئي إلى اعتبار القضية الفلسطينية البوصلة التي تحدد مواقف الدول والشعوب الإسلامية، وإلى جعلها المعيار الأساسي للولاء والبراء في العلاقات الدولية.

كما أسهم الإمام الخامنئي في بناء محور المقاومة، وقد أثبت هذا المحور فعاليته في مواجهة المشاريع الصهيونية والأميركية، وفي تعزيز قدرات المقاومة. ويشكل دعم فلسطين أحد أهم أهداف محور المقاومة وأبرز تجلياته العملية. فقد نجح هذا المحور في مساندة غزة، وفي إفشال العدوان على لبنان، وفي تغيير موازين القوى في المنطقة لصالح المقاومة.

وكان الإمام الخامنئي يرى أن تعزيز هذا المحور وتوسيعه هو ضرورة استراتيجية لمواجهة التحديات القائمة، ولتحقيق النصر النهائي على العدو الصهيوني. وهو يدعو كل القوى المناهضة للهيمنة إلى الانضمام إلى هذا المحور، أو على الأقل إلى التنسيق معه في المواقف والقضايا المشتركة.

فلسطين في إطار الصحوة الإسلامية

كان الإمام الخامنئي يربط بين نصرة فلسطين والصحوة الإسلامية التي تشهدها المنطقة منذ عقود. فهو يرى أن دعم فلسطين هو من ثمار الصحوة الإسلامية، وفي الوقت نفسه هو من عوامل تعزيزها وتعميقها.

ويحلل الإمام الخامنئي الحركات الإسلامية المعاصرة من منظور موقفها من القضية الفلسطينية. ففي رؤيته، لا يمكن لحركة إسلامية أن تكون صادقة في إسلاميتها ما لم تتبنَّ قضية فلسطين وتعمل على دعمها ونصرتها. والقضية الفلسطينية هي المحك الحقيقي لصدق هذه الحركات والتزامها بالإسلام.

وكان الإمام الخامنئي يدعو الحركات الإسلامية إلى جعل فلسطين في مقدمة أولوياتها، وإلى عدم الانشغال بصراعات جانبية أو خلافات هامشية تبعدها عن قضية الأمة المركزية.

في النهاية؛ جمع الإمام الشهيد السيد علي الخامنئي في فكرته عن فلسطين بين التأصيل الديني والرؤية الاستراتيجية والممارسة العملية. لم تكن القضية عنده شعارًا يُرفع في المناسبات، بل التزامًا مبدئيًا وواجبًا شرعيًا وإنسانيًا، جسّده في أقواله وأفعاله حتى آخر لحظات حياته. من خلال كتاباته وخطاباته ولقاءاته ودعمه المستمر للمقاومة، رسم الإمام خريطة طريق لمشروع تحرري يمتد عبر الأجيال، قائم على عقيدة راسخة ورؤية استراتيجية واضحة.

وما زالت فلسطين في فكر الإمام الخامنئي قضية حية، ليس لأنها جزء من الماضي، بل لأنها مشروع للمستقبل، تنتظر من يحمل الراية بعد غيابه، ويواصل المسير حتى تحقيق النصر.

الهدنة فخ محكم لإيران.. الحرب قائمة والعدوان الأميركي-الصهيوني لن يتوقف إلا إذا !

نجاح محمد علي

في تصريح لافت خاطب به المعترضين داخل إيران على مذكرة التفاهم الايرانية الأمريكية، شدد اللواء محسن رضائي، المستشار العسكري لقائد الثورة الإسلامية على أن الهدنة لن تطول، وأن الأمريكي هو من سيقوم بكسرها وتمزيق المذكرة التي وقعها . تحذير رضائي الذي كان القائد العام للحرس الثوري طوال فترة الحرب مع العراق، هو خلاصة رؤية استراتيجية عميقة يؤمن بها معظم الإيرانيين و تستند إلى تأريخ الصراعات وطبيعة العدو الذي لا يعرف الوفاء بعهوده، وخصوصاً هذا العدو و ما ارتكبه من جرائم ضد الإنسانية وجرائم حرب لازال يفخر بها منها اغتيال المرجع الديني و القائد الأعلى الإمام الشهيد سيد علي خامنئي.

نعم إن ما يجري اليوم ليس سلاماً ولا هو مقدمة لسلام تشوبه توترات واضطرابات ، إنه فخ محكم نُصب لإيران بعد أن توقفت عن القتال في وقت القتال وقبلت بطلب أمريكا وقف إطلاق النار. هذه النتيجة الطبيعية لمن يتوقف عن القتال قبل تحقيق النصر الكامل وهزيمة العدو هزيمة نكراء.

في تأريخ الحروب الحديثة، ثبت مراراً أن طلب الهدنة أو وقف إطلاق النار في ذروة المعركة يُترجم ذلاً وعدواناً متواصلاً لا نهاية له. لقد حذرنا في السابق، وفي أكثر من مناسبة، من خطورة وقف القتال قبل تحقيق النصر وهزيمة العدو. ودعونا إلى تحويل النصر التكتيكي إلى انتصار استراتيجي في فترة المفاوضات. لكن للأسف الشديد، وقع الإيرانيون في خطأ كبير عندما قبلوا هذه الهدنة الهشة. فالعدوان الأمريكي-الصهيوني لن يتوقف عند هذا الحد، بل سيتوسع ليشمل جميع الأراضي الإيرانية، من الخليج الفارسي إلى بحر قزوين، ومن الحدود الغربية إلى الشرقية. الهدف ليس إضعاف إيران، وإنما إسقاطها وجودياً أو محاولة إخضاعها بالكامل وتدمير بنيتها التحتية العسكرية والنووية والاقتصادية.

إن تغاضي إيران وعدم التعامل بحزم مع الضربات والخروقات الأمريكية السابقة هو ما جعل الأمريكي يتجرأ أكثر ويستهدفها مباشرة.

في تأريخ المواجهات الأخيرة التي اندلعت في فبراير الماضي، نفذ الكيان الصهيوني وداعموه الأمريكيون سلسلة من الضربات الاستفزازية ضد أهداف إيرانية وحلفائها، ثم فرضوا حصاراً بحرياً على مضيق هرمز وموانئ إيران. بدلاً من الرد الحازم الذي يردع العدو ويمنعه من التمادي، تم التسامح مع بعض هذه الخروقات تحت ضغط الوسطاء و هم يعملون بالكامل لصالح العدو. هذا التسامح أعطى واشنطن و الكيان الصهيوني الإشارة الخضراء للتصعيد. واليوم، يستمر القصف والاستفزازات تحت غطاء "الهدنة"، بينما يوهم الوسطاء إيران بأن الاتفاق على وشك الاكتمال، وأن الإفراج عن الأصول المجمدة أو رفع الحصار بات قريباً. في الواقع، تواصل أمريكا القصف والحصار حتى تحين الفرصة المناسبة للانقضاض الكبير، وتمنع إيران من بيع النفط بحرية، ومن الوصول إلى أصولها المجمدة. والمصيبة أن هذه الحقائق مدعومة بتصريحات المسؤولين الأمريكيين والصهاينة أنفسهم، الذين يعلنون صراحة أن أي اتفاق لن يكون نهائياً إلا إذا استسلمت إيران لشروطهم الكاملة في الملف النووي والصاروخي والإقليمي.

الوقائع التي أعقبت التوقيع على مذكرة التفاهم، أكدت بما لا يقبل الشك أن أمريكا ستقود المفاوضات إلى الفشل، كما فعلت سابقاً، وأن على إيران أن لا تنهي الحرب إلا بعد تعويض كامل عن الأضرار وضمانات مستقبلية حقيقية. لكن الوسطاء، سواء في إسلام آباد أو الدوحة ومسقط أو غيرها، يمارسون لعبة التسويف والتضليل، يعدون إيران بـ"تقدم كبير" كل أسبوع، بينما يمنحون العدو وقتاً ثميناً لإعادة ترتيب صفوفه، وإعادة تسليح الكيان الصهيوني، ونشر المزيد من القوات والسفن في المنطقة.

إن الحرب قائمة فعلياً رغم إعلان الهدنة. فالمواجهات لم تتوقف تماماً، والخروقات مستمرة من الجانب الأمريكي-الصهيوني، سواء عبر استهداف السفن أو الضغط على مضيق هرمز أو تنفيذ ضربات جديدة. الهدنة ليست سوى فترة راحة مؤقتة يستغلها العدو للتحضير لجولة أوسع تشمل كل الأراضي الإيرانية . قادة الكيان الصهيوني في يافا المحتلة يتحدثون علناً عن "اليوم التالي" الذي يتضمن تدمير القدرات الإيرانية بالكامل، بينما يواصل الأمريكيون فرض الحصار البحري ومحاولة خنق الاقتصاد الإيراني. هذا ليس سلاماً، هذا استمرار للحرب بوسائل أخرى، وفخ مصمم لإضعاف إيران من الداخل قبل الضربة القاضية.

في تأريخ الثورة الإسلامية والمواجهات مع الاستكبار العالمي، دفع الشعب الإيراني ثمناً باهظاً من الدماء والتضحيات ليحافظ على استقلاله وسيادته. الآلاف ، وعلى رأسهم الإمام السيد خامنئي ، استشهدوا في مواجهة العدوان

الأمريكي-الصهيوني وحلفائهم في المنطقة. اليوم، يُسمح للبعض – سواء داخل أروقة التفاوض أو عبر الضغوط الداخلية – بالعبث بهذه التضحيات من خلال قبول هدنة هشة لا تضمن شيئاً سوى إعطاء العدو فرصة جديدة.

إلى متى سيستمر هذا العبث؟ إلى متى ستُرهن دماء الشهداء ومستقبل الأجيال القادمة لوعود كاذبة من وسطاء لا يملكون قراراً حقيقياً، بينما يخطط العدو للانقضاض على كل شبر من الأرض الإيرانية؟

إن وقف القتال قبل هزيمة العدو يعني منح العدو الوقت لاستعادة توازنه. في الحرب الحالية التي اندلعت بعد الضربات الأمريكية-الصهيونية في فبراير، حققت إيران إنجازات كبيرة في كسر هيبة أمريكا وإغلاق مضيق هرمز وتوجيه ضربات مؤلمة للقواعد الأمريكية. لكن قبول الهدنة أوقف هذا الزخم. الآن، يعيد العدو نشر قواته، ويحشد حلفاءه في المنطقة، ويعد لضربات أوسع نطاقاً تشمل المنشآت النووية والصاروخية والمدن الكبرى. الكثير داخل ايران حذر بوضوح: إذا استأنفت أمريكا القتال، فإن إيران ستعطي الحرب بعداً جديداً يشمل مهاجمة قواعد أمريكية أخرى وتوسيع العمليات إلى المحيط الهندي وباب المندب والبحر المتوسط. هذا الردع الحقيقي هو ما يخيف واشنطن ويافا المحتلة، ولذلك يسعون لكسر إرادة إيران عبر الهدنة المؤقتة.

الوسطاء الذين يدّعون الحياد يمارسون في الواقع دوراً في إطالة أمد العدوان. يقولون لإيران "الصبر جميل، الاتفاق قريب"، بينما يسمحون لأمريكا بمواصلة الحصار والاستفزازات. هذه اللعبة ليست جديدة؛ إنها تكرار لما حدث في مفاوضات سابقة انتهت بمزيد من العقوبات والضربات. إيران التي صمدت أمام أعتى الضغوط الاقتصادية والعسكرية لا ينبغي أن تقع مجدداً في فخ "السلام المؤقت" الذي يُستخدم كغطاء للتحضير للحرب الشاملة.

إن السماح للبعض بالعبث بتضحيات إيران يعني خيانة لدماء الشهداء ولحق الأجيال القادمة في العيش بحرية وكرامة. الشعب الإيراني الذي وقف صامداً في وجه العدوان يستحق قيادة سياسية حازمة لا تتردد في ترك طاولة المفاوضات وللأبد ، وقيادة عسكرية ترد بقوة أشد على كل خرق، ولا تقبل هدنة إلا بشروط القائد السيد مجتبى خامنئي تضمن النصر الكامل. لقد أكد القائد الأعلى الجديد أن الهدنة الحالية ليست نهاية الحرب، بل مرحلة جديدة منها. الحرب قائمة، والعدو يتربص، والفخ منصوب. على إيران أن تستعيد زمام المبادرة، وتتعامل بحزم مع كل محاولة للالتفاف على حقوقها، وترفض أي اتفاق لا يضمن رفع الحصار الكامل وتعويض كل الأضرار وإنهاء التهديد الصهيوني-الأمريكي إلى الأبد.

في الختام، تؤكد التصريحات والتطورات الميدانية والتأريخ أن ما يُسمى بالهدنة ليس سوى فخ لإيران. الأمريكي والكيان الصهيوني لن يتوقفا عن العدوان، بل سيوسعانه ليشمل كل الأراضي الإيرانية إذا سُمح لهما بذلك.

لقد حذر اللواء محسن رضائي، وحذرنا سابقاً، واليوم يتجلى التحذير واقعاً ملموساً. على الجميع أن يدرك أن النصر لا يأتي بالتنازلات، بل بالصمود حتى هزيمة العدو. إيران التي كسرت هيبة أمريكا مرة، قادرة على كسرها مجدداً إذا رفضت الفخ واستأنفت المسار الصحيح نحو النصر الكامل.